المبحث الأول
أسباب الكذب على الشيخ
محمد بن عبدالوهاب رحمه الله، ودعوته السلفية(١)

من خلال الاطلاع على مواقف وكتب خصوم دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب السلفية فإنه يمكن إيجاز أبرز الدوافع والأسباب التي أدت إلى العداء والمناهظة للدعوة السلفية؛ ثم الكذب والافتراء عليها فيما يلي:

١- أن الحق ثقيلٌ قبوله على بعض الأنفس ممن ركنت إلى واقعها المنحرف وأهوائها المتنوعة، كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ جِئْنَاكُم بِالْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾، وكما حكى عن نبيه صالح عليه السلام قوله: ﴿وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ﴾. فإتباع الحق إذا تبين يحتاج - بعد توفيق الله - إلى أنفس تقتحم العقبة في سبيل التزامه، والتخلص مما هي عليه من فتنة الشبهات والشهوات، وهذا ما لايستطيعه سوى القليل، أما من اتبع هواه؛ فإنه سيكره الحق، وسيحاول التنفير عنه بشتى الوسائل.

٢- ومن الأسباب: الحسد الذي أصاب بعض مدعي العلم في عصر الشيخ، ممن سكت عن البدع والمنكرات التي تمارس بين ظهرانيه - لسبب

---

(١) باختصار وتصرف من «دعاوى المناوئين»؛ للدكتور عبدالعزيز آل عبداللطيف (ص ٧٠ - ٧٦)، و«إسلامية لا وهابية»؛ للدكتور ناصر العقل (ص ١٥٩ - ١٦٥)، و«انتشار دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب خارج الجزيرة العربية»؛ للأستاذ محمد كمال جمعة (ص ٥٢ - ٥٤)، مع زيادات.

ما -، واقتات على أموال الناس، فلما جهر الشيخ بدعوته، وبين الحكم الشرعي في تلك المنكرات، وذلك المال الذي يتأكله بعض أدعياء العلم من العامة؛ حسدوه على هذا الفضل الذي اختصه الله به، وامتزج حسدهم بحقد بسبب كشفه لحالهم، مما ألجأهم إلى تشويه دعوته، والافتراء عليه - كما سيأتي نموذج لأحدهم إن شاء الله -.

٣- ومن الأسباب: ما كان عليه أولئك الخصوم وبعض المنتسبين إلى الإسلام قبل دعوة الشيخ من الضلال والغي عن الصراط المستقيم، حيث بلغوا أحط الدركات في فساد الاعتقاد، وعمَّ الجهل وطغى، فعبد غالب المسلمين ربهم بلا علم ولا هدى ولا كتاب منير، فظهرت البدع والشركيات بمختلف أنواعها، وصارت هذه الأمور الشركية والمحدثات البدعية من العوائد والمألوفات التي هرم عليها الكبير وشب عليها الصغير، فانعكست الموازين وانقلبت الحقائق، وأصبح الحق باطلًا، والباطل حقًا.

ويوضح ابن غنام الحالة السيئة التي وصل إليها المسلمون في مختلف البلاد، وما كانوا عليه من فساد الاعتقاد واستفحال الكفر والابتداع، فيقول رحمه الله: «كان غالب الناس في زمانه متضمخين بالأرجاس، متلطخين بوضر الأنجاس، حتى قد انهمكوا في الشرك بعد حلول السنّة المطهرة بالأرماس، وإطفاء نور الهدى بالانطماس فعدلوا إلى عبادة الأولياء والصالحين، وخلعوا ربقة التوحيد والدين، فجدوا في الاستغاثة بهم في النوازل والحوادث. . . أحدثوا من الكفر والفجور والإشراك بعبادة أهل القبور وصرف الدعاء لهم والنذور»[١].

(١) روضة الأفكار (١/ ٥ - ٦) باختصار.

فلما أظهر الله هذه الدعوة السلفية على يد المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب استنكرها الرعاع وأدعياء العلم والعوام، لأنها خالفت عوائدهم الشركية ومألوفاتهم البدعية، فلما دعاهم الشيخ إلى وجوب إفراد الله تعالى بالعبادة وأنه لا يُدعى ولا يُستغاث إلا بالله وحده، فلا يُستغاث بالأولياء أو الأنبياء، استنكر أولئك الجهال هذا الحق، وزعموا أن ذلك انتقاص للأنبياء والأولياء، فخالفوا الحق مع ظهوره وبيان أدلته، ووضوح براهينه، وأُسقط في يد بعضهم عندما بهرهم نور الحق الذي لم يقدروا على مواجهته؛ فلجأوا للأكاذيب والافتراءات.

٣- ومن الأسباب: النزاعات السياسية والحروب التي قامت بين أتباع هذه الدعوة وبين الأتراك من جهة، وبين أتباع هذه الدعوة وحكام الحجاز من جهة أخرى. ومن ورائهم جميعًا: الإنجليز الذين يسوؤهم أن يعود المسلمون إلى دينهم الصحيح؛ فيعود لهم مجدهم، فينتفضوا على من نهب ديارهم وأموالهم.

وقد أشار بعض الباحثين إلى هذا العامل السياسي الخطير وما ترتب عليه من تلك المطاعن والمفتريات والشبهات.

يقول الشيخ محب الدين الخطيب رحمه الله عن السياسة نقلًا عن أحد الكتاب:

«إذا احتاجت السياسة إلى قلب الحقائق وإظهار الشيء بخلاف ما هو عليه؛ اتخذت لذلك جميع الأسباب، واستعانت على ذلك بمن لهم منافع شخصية من وراء إعانتها، فتنجح إلى حين في تعمية الحق على كثير من الخلق. ومن هذا القبيل ما كان يطرق آذان الناس في مصر والشام والعراق

وسائر بلاد الشرق الأدنى في المائة السنة الماضية من تسمية الدعوة التي دعا بها الشيخ المصلح محمد بن عبد الوهاب رحمه الله باسم (الوهابية)، اتهامًا بأنه مذهب جديد»[(١)].

ويتحدث محمد عبد الله ماضي عن العوامل التي أدت إلى التشنيع على دعوة الشيخ؛ فيذكر العامل السياسي فيقول: «عامل سياسي يرجع إلى الخلاف الذي قام بين آل سعود وبين الدولة العثمانية.. ذلك الخلاف الذي سبب الحرب النجدية المصرية بين محمد علي وأنصار الدعوة، والذي صحبه وترتب عليه كثير من الدعايات ضدهم، وإظهارهم بمظهر المعتدي على الدين، الخارج على تعاليمه؛ حتى تسهل مقاومتهم وتيسر القضاء عليهم.

وكذلك الخلاف السياسي بين آل سعود وبين أشراف مكة، ثم بينهم وبين زعماء نجد المحليين»[(٢)].

ويوضح الشيخ محمد رشيد رضا آثار العداء السياسي مع بداية الدولة السعودية الثالثة، وما فعله حكام الحجاز ضد الدعوة السلفية، فكان مما قاله: «كانت جريدة القبلة - لسان الملك حسين آنذاك - تكيل التهم والأكاذيب على هذه الدعوة السلفية.

وقد أصدر الملك حسين عدة منشورات في جريدة القبلة سنة **١٣٣٦**هـ، وسنة **١٣٣٧**هـ، رمى أنصار الدعوة السلفية بالكفر، وقذفهم بتكفير أهل

---

(١) مجلة الزهراء، صفر، **١٣٥٤**هـ، (ص ٨٤ - ٨٥). وقد أشار إلى ذلك مسعود الندوي في كتابه «محمد بن عبد الوهاب مصلح مظلوم ومفترى عليه» (ص ١٤٧).

(٢) النهضات الحديثة في جزيرة العرب، (ص ٥٩).

السنة، والطعن في الرسول. . . وقام بعض أهل دمشق وبيروت يتقربون إلى الأشراف بطبع الرسائل في تكفيرهم ورميهم بالأكاذيب، ثم سرى ذلك إلى مصر، وظهر له أثر في بعض الجرائد»(١).

«إن سبب قذف أنصار الدعوة السلفية بالابتداع والكفر سياسي محض، كان لتنفير المسلمين منهم؛ لاستيلائهم على الحجاز، وخوف الترك أن يقيموا دولة عربية، ولذلك كان الناس يهيجون عليهم تبعًا لسخط الدولة، ويسكتون عنهم إذا سكنت ريح السياسة»(٢).

٤- ومن الأسباب: دفاع خصوم الدعوة - وبالأخص الصوفيّة والرافضة - عن معتقداتهم الفاسدة وآرائهم الباطلة. فإنه لما غلب على حال كثير من المسلمين ظهور الشركيات وانتشار البدعيات، واستفحال الخرافات، والغلو في الأموات والاستغاثة بهم، وظهور تشييد المشاهد وإقامة المزارات على القبور، وزخرفتها وتزيينها وصرف الأموال الطائلة عليها فلما غلب ذلك على حال عامة المسلمين، فإن هؤلاء المتصوفة والرافضة وجدوا في هذا الواقع الآسن مرتعًا خصبًا لبثّ سمومهم العقديّة.

فلما بدت أنوار هذه الدعوة تكشف غياهب الظلام، وتزيل أدران الشرك ونجاساته، وتدعو الناس إلى تحقيق التوحيد بصفائه ونقائه، أدرك الخصوم أن ظهور هذه الدعوة السلفية نذيرٌ بزوال عقائدهم الباطلة، فحشد أولئك الخصوم قواهم وانبروا في التشنيع بهذه الدعوة وأنصارها، وهم أثناء تشنيعهم يذكرون معتقدهم الصوفي أو الرافضي - وغيرهما - ويزينونه

---

(١) المنار، م٢٤، ج ٨، (ص ٥٨٤) بتصرف.

(٢) المرجع السابق.

للناس ويزعمون أنه الحق[١].

هذه بعض الأسباب الظاهرة لشدة عداوة الخصوم للدعوة السلفية، ومحاولة تشويهها بالأكاذيب والافتراءات.

❑ ❑ ❑

(١) من خلال استقراء كتب الخصوم، يُلاحظ أن غالبهم إما صوفية أو رافضة.